

تعليم ما بعد المرحلة الثانوية للاجئين في أفغانستان: ضرورة حيوية لإعادة الإعمار

كلاس مورلانغ و كارولينا شتولته

ولكي يتمكن القامون على المبادرة في أفغانستان من تحقيق نجاح طويل الأمد لها، تم السعي لعلاج عدد من التحديات، حيث قام البرنامج بالتركيز على تحفيز المشاركة النسائية في البرنامج لتحقيق تكافؤ الفرص بين الجنسين، مما نجم عنه زيادة أعداد المسجلين من الفتيات الأفغانيات اللاجئات في الأعوام الأخيرة. وتشكل الفتيات الآن ما يقرب من ٥٤٪ من إجمالي أعداد الطلبة الأفغان في البرنامج، أي أعلى من المتوسط العام لأعدادهن في عام ٢٠٠٦ والذي بلغ ٣٩٪. وهؤلاء الفتيات يمثلن نموذجاً للفتيات والنساء الأفغانيات وقد يسهم هذا النموذج في دفع التعليم وتحفيز العائلات والفتيات أنفسهن للارتقاء إلى درجات أعلى في تعليمهن.

ونأتي للتحدي الثاني والذي كان يتمثل في غياب التنسيق بين الجهات المانحة الداعمة للتعليم الجامعي للأفغانين مما يخلق مشكلة أخرى. حيث أدى وجود عدد هائل من المستشارين التعليميين والوكالات الممولة المتبينة لمناهج مختلفة إلى خلق هيكل متضاربة لدعم برامج اللاجئين خارج البلاد. وكان ذلك قد أدى إلى تمزق وارتباك المنظومة التعليمية الأفغانية وأضفى تعقيداً على العملية التعليمية وعلى مردودها بالنسبة للاجئين الشباب. وقد أدركت مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين وشركاءها الحاجة لإسداء مشورتها لكل لاجئ حول دراساته وخططه المستقبلية ونظمت لهذا الغرض ورش عمل في بلدان لجوئهم تتناول طائفة من الموضوعات التي تتراوح بين المعلومات العامة عن سوق الوظائف والوعي بفيروس

تقوم مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين منذ عام ١٩٩٢ بتنفيذ مبادرة 'ألبرت آينشتاين الأكاديمية الألمانية للاجئين' (DAFI). وهي إحدى البرامج الألمانية ذات التمويل الحكومي لتوفير تعليم ما بعد المرحلة الثانوية للاجئين في بلدان لجوئهم. ويشكل الطلبة الأفغانيون أكبر الفئات المنتفعة بهذا البرنامج.

وقد تم إلغاء هذه السياسة في عام ٢٠٠٧ لتكون إيران حالياً هي البلد المتلقي لأكبر عدد من الطلبة اللاجئين الأفغان. وفي عام ٢٠٠٥، ونتيجة لعدم التوازن بين أعداد الجنسين في برنامج مبادرة ألبرت آينشتاين الأكاديمية الألمانية للاجئين ومع محاولة مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين استهداف تعليم الفتيات بشكل خاص، لم يتم السماح للتسجيل في برنامج المبادرة في باكستان إلا للفتيات فقط.

وكان المستوى المتاح للتمويل هو ما يحدد الأهداف الكلية للبرنامج في هذه المنطقة وغيرها. إن البلدان المستضيفة بحاجة لوضع سياسات تتوافق مع احتياجات اللاجئين، فإذا لم يتم السماح للاجئين بالتسجيل في الجامعة، أو كانوا بحاجة لتصريحات خاصة أو فرضت عليهم رسوم طلابية 'دولية' تمنعهم من التسجيل، فإن تنفيذ أي برنامج للمنج يصبح أكثر صعوبة. ويبلغ متوسط التكلفة على مستوى العالم الذي ينفق على الطالب الواحد المسجلين في برنامج المبادرة ما يقرب من ٢٠٠٠ دولار سنوياً.

وهما أن الإمكانات التي تتمتع بها مؤسسات التعليم الجامعي داخل أفغانستان محدودة للغاية، ونظراً لوجود ثلاثة ملايين أفغاني في هذه اللحظة مشتتين في باكستان وإيران فإن الحاجة ملحة من أجل توفير فرص التعليم العالي - سواء من خلال مبادرة ألبرت آينشتاين الأكاديمية الألمانية للاجئين أو غيرها من القنوات - للأفغانيين في دول الجوار.

وقد كانت أفغانستان محور تركيز فعاليات برنامج ألبرت آينشتاين الأكاديمية الألمانية للاجئين من البداية، مع بلوغ أعداد الطلبة المسجلين من أفغانستان ٤٤٧ طالباً في عام ٢٠٠٣. بيد أن ثمة عوامل خارجية تؤثر لا محالة على البرنامج. فنتيجة لعودة أعداد غفيرة من الأفغانيين إلى وطنهم منذ عام ٢٠٠٢ تراجع العدد الإجمالي للطلبة المسجلين في الجامعات الإيرانية والباكستانية بشكل كبير. وقد أوقفت إيران قبول أعداد جديدة من طلبة المرحلة الجامعية في عام ٢٠٠٤ نتيجة لسياسة إعادة الترحيل الفعلية التي تنتهجها لترحيل الطلبة اللاجئين إلى أوطانهم.

نقص المناعة المكتسب/الإيدز وحتى المسائل المتعلقة بالعودة إلى أفغانستان.

بشائر النجاح

قامت مفوضية شؤون اللاجئين في عام ٢٠٠٧ كجزء من جوانب تقييمها الشامل لتأثير مبادرة ألبرت آينشتاين الأكاديمية الألمانية للاجئين بإرسال استبياناً للطلبة السابقين^٢. وجاءت استجابات المجموعة الأفغانية لتظهر الصلة المباشرة بين برامج مساعدة اللاجئين التي تركز على تعليم ما بعد المرحلة الثانوية وبين الجهود الوطنية لإعادة الإعمار. فمن خلال تعليم اللاجئين الأفغان في البلدان المجاورة، وفرت مبادرة ألبرت آينشتاين الأكاديمية الألمانية للاجئين المهارات المطلوبة لتحقيق العودة المستدامة كما جعلت العودة إلى الوطن حلاً أكثر ملائمة لمستقبل الكثير من الطلبة وعائلاتهم. وجاء أثر طلبة الجامعات العائدين بالنسبة لإعادة إعمار أفغانستان واضحاً وضوحاً بيناً.

وقد توافر لدى اللاجئين ممن تلقوا تعليماً جامعياً في المنطقة كل من المهارة والاستعداد الأرحب للعودة إلى ديارهم. وقد ساعد ذلك في جلب الموارد البشرية المؤهلة أكاديمياً إلى منطقة عانت استنزافاً هائلاً للعقول المهمة. ورغم توفير الحرية للطلبة لاختيار ما يروق لهم من دراسات، إلا أنه قد تم تشجيع الطلبة على التسجيل في البرامج التي تعطيهم درجة علمية في المجالات التنموية أو الوظيفية ذات الأهمية الأكبر. ونتيجة لذلك، فإن مجالات الدراسة المختلفة، ومن ثم العمل ضمن مجموعة الفئة الأفغانية من الطلبة المستفيدين برنامج المبادرة تأتي في غاية التنوع، وبما يعكس جميع الاحتياجات لبلد كانت في أشد الحاجة لجامعات ملائمة لسنوات عديدة.

وتعمل غالبية خريجي البرنامج العائدين في هرات أو كابول. وأكثر من ٧٠٪ منهم يعملون كموظفين مدنيين أو كمدراء لمنظمات غير حكومية، مع اشتغال الباقي في القطاع الخاص. وتشير الأبحاث إلى أن أفغانستان تواجه غياباً حاداً للموارد البشرية المدربة في المجالات الإدارية. لذا، ونتيجة للتشجيع الذي وفره برنامج المبادرة، فإن ما يقرب من ربع الطلبة الأفغان المسجلين كطلاب في البرنامج يركزون على الدراسات الخاصة بالإدارة والاقتصاد. ومن الجوانب الأخرى التي تستدعي تدخلاً خاصاً في أفغانستان دعم المجتمعات الريفية وحل مشكلة الأمن الغذائي طويل الأمد. وقد جاء دور برنامج المبادرة ليشجع الكثير من الطلبة على دراسة الزراعة، خاصة في فيصل آباد في باكستان، حيث يوجد ما يقرب من ٢٠٪ من الطلبة الأفغان مسجلين حالياً ضمن الفصول المرتبطة بمجالات الزراعة/المصايد السمكية وعلوم الغابات.

ونستطيع أن نقع على أمثلة للنجاح الذي حققه البرنامج على جميع مستويات المجتمع الأفغاني. فأحد

خريجي برنامج المبادرة يشغل حالياً منصب نائب مدير وزارة مكافحة الإتجار بالمخدرات، بينما يرأس خريج آخر المجلس الوطني الأفغاني بينما يعمل آخر لصالح هيئة المواصفات والمعايير الوطنية. كما يشغل عدد من خريجي برنامج المبادرة وظائف عليا في عدد من المنظمات غير الحكومية التي تقدم خبراتها في مجال حقوق الإنسان وقضايا الجنس وأهمات التدخلات الإنسانية وتقديم الخدمات الاجتماعية.

”حققت المنح الدراسية المقدمة من مبادرة ألبرت آينشتاين الأكاديمية الألمانية للاجئين إسهاماً كبيراً في تعليم وتطوير مقدرات الكثير من اللاجئين الشباب الموهوبين، وبما أتاح لهم توسيع آفاقهم والتعقيب فيما لديهم من مهارات كامنة ينفعون بها وطنهم. فمن خلال المنح التعليمية للتعليم العالي، أعطى برنامج المبادرة للآلاف من الشباب والشابات الوسيلة لكسر دائرة العنف والحرمان. وخلال جولتي في الخارج التقيت بعدد من معلمي البرنامج وخريجيه في قارات عديدة ورأيت بنفسني الخبرات التي اكتسبوها وهم يطبقونها لصالح مجتمعهم. ليس بوسع أحد أن يقلل من قيمة التعليم، فهو يعطي اللاجئين الأمل في تخیل مستقبل أكثر إشراقاً لأنفسهم ولمجتمعاتهم كما يعطيهم المهارة والإصرار على تحقيق أهدافهم“

أنطونيو غوتيريس، مفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين.

خاتمة

إن توفير تعليم ما بعد المرحلة الثانوية ليس بذی أولوية مقارنة بالمستويات الأخرى المهمة من التعليم، خاصة التعليم الابتدائي. ورغم ذلك، فإن الأبحاث التي تناولت خمسة عشر عاماً من العمل في برنامج منح مبادرة ألبرت آينشتاين الأكاديمية الألمانية للاجئين قد أثبتت أن فوائد هذه المرحلة بالنسبة لجهود التنمية لهي فوائد عظيمة. إن بوسع برامج المنح أن تفعل وتنجز، شريطة أن يتم تنفيذها بعناية ويتم توزيع المخصصات التمويلية لها بكفاءة. ومن الوجهة منطقياً أن يدرس اللاجئين في البلدان الأقرب لأوطانهم - في كلتا الناحيتين الجغرافية والثقافية- نظراً لأنه يجعل العودة لأوطانهم أمراً أكثر ترجيحاً عقب انتهاءهم منهم. وينبغي أن تتم موازنة التمويل المقدم لتعليم ما بعد المرحلة الثانوية مع هدف تحقيق نتائج مستدامة.

وسوف يحقق الطلبة أكثر استفادة من الدورات التي تعلمهم العمل مع الموارد المتاحة إقليمياً. وفي حالات دراسة الطب والهندسة، لن يجدي شيئاً أن يتم تعلم التعامل مع معدات وأجهزة من المعلوم جيداً أنها لن تتوافر بمجرد أن يبدأ الخريجون العمل مع مجتمعاتهم.

ولا تقوم مفوضية شؤون اللاجئين بتمويل المنح للدورات متعددة السنوات مثل الطب؛ فهي مكلفة للغاية وتتطلب تمويلاً لآجال طويلة. بيد أن المفوضية من جهة أخرى تصب تمويلها في دورات طب الطوارئ لأن خريجها يقدمون خدمات قيمة. ونفس الاعتبارات الخاصة بالتركيز على تحقيق العائد من التكلفة تنطبق على دراسات ما بعد التخرج. فبدلاً من توفير المصاريف التي يحتاجها طالب واحد للحصول على درجة الدكتوراه، فإنه من الأكثر فائدة أن تقدم يد المساعدة لاثنتين من الطلبة للحصول على شهادة الإجازة.

ومما لا يدعو للدهشة أن ثلاثة أرباع اللاجئين المشتكين الذين تلقوا منحاً من برنامج مبادرة ألبرت آينشتاين الأكاديمية الألمانية للاجئين يبلغون عن حصولهم على دخول تفوق الدخل المتوسط. ورغم ذلك، فإن فوائد تقديم تعليم ما بعد المرحلة الثانوية للاجئين هي أسوأ من ذلك لأنها في النهاية تصب في مصلحة إفادة المجتمعات والأمم التي تمضي فترة النقاهة من صراعات سابقة. إن عودة الموارد البشرية المؤهلة إلى المناطق التي ضربتها الصراعات في السابق لهو أحد أهم أركان تحقيق جهود إعادة الإعمار المستدام. وتظهر الأمثلة الأفغانية كيف يمكن لتعليم ما بعد المرحلة الثانوية للاجئين أن يسهم إسهاماً مباشراً نحو تحقيق إعادة الإعمار في بلد لا يزال يناضل مع صراعات طويلة الأمد. إن حقيقة أن ٩٤٪ من خريجي برنامج المبادرة العائدين إلى بلادهم يجدون فرصاً للتوظيف في أوطانهم تؤكد على الحاجة لمهاراتهم. كما أن مجالات الدراسة التي يختارها الطلاب الأفغان والقطاعات التي وجدوا وظائف بها والتوازن بين الجنسين بين الطلاب اللاجئين لهي جميعها مؤشرات إيجابية على حدوث تحول مستقبلي. وقد أظهرت مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين أنه في أفغانستان كما في غيرها من المناطق، تأتي برامج المنح المقدمة للاجئين بفائدة عظيمة كما أن جميع أشكال التدخل الإنساني ينبغي أن تأتي مرتبطة بجهود التنمية طويلة الأمد.

كلاس مورلانغ (morlang@unhcr.org) هو مسؤول شؤون التعليم بمفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بجنيف. أما كارولينا شتولته (@stolte_carolina@yahoo.com) فهي تقوم باستكمال رسالتها للدكتوراه في جامعة لايدن. وقد كتبت هذه المقالة من قبل مؤلفيها بصفتها الشخصية ولا تعكس الآراء الواردة فيها بالضرورة آراء مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

لمزيد من المعلومات عن برنامج مبادرة ألبرت آينشتاين الأكاديمية الألمانية للاجئين، رجاء الإطلاع على الرابط التالي: www.inwent.org/ez/articles/065278/ index.en.shtml، أما تقييم نوفمبر ٢٠٠٧ لأنشطة برنامج المبادرة فنجدته على الرابط: www.unhcr.org/protect/PROTECTION/47b4083d2.pdf

١ في عام ٢٠٠٦، تم تسجيل ١٠٦٧ طالباً من طلبة مبادرة ألبرت آينشتاين الأكاديمية الألمانية للاجئين من ٢٧ دولة في دورات تعليمية في ٢٨ دولة. www.unhcr.org/protect/PROTECTION/4603d6954.pdf ٢